

بسم الله الرحمن الرحيم

## رياض الصالحين

### شرح حديث أنس - رضي الله عنه - "إِذَا تَقْرَبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شَبِيرًا تَقْرَبَتْ إِلَيْهِ ذِرَاعًا"

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فعن أنس - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه - عز وجل - قال: ((إِذَا تَقْرَبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شَبِيرًا تَقْرَبَتْ إِلَيْهِ ذِرَاعًا...)).<sup>(١)</sup>

وذكرنا أن هذا من الأحاديث القدسية، ففي الذي قبله: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن الله تعالى قال: ((من عادى لي ولیاً...)),<sup>(٢)</sup> وهنا: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه.

فالآحاديث القدسية تارة يقول فيها النبي - صلى الله عليه وسلم -: قال الله تعالى، وتارة يقول الراوي: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، أو عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه. قال: ((إِذَا تَقْرَبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شَبِيرًا تَقْرَبَتْ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقْرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقْرَبَتْ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتَهُ هَرْوَلَةً)), رواه البخاري.

هذا الحديث يبين معنى كبيراً إذا استشعره المؤمن فإنه يقبل على طاعة الله - عز وجل - بكل انشراح، فهذا رب الذي نعبد - جل جلاله - أرحم الراحمين، وقد جاء في الحديث: ((الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحلكم كان على راحلته بأرض فلاد، فانفلت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح)).<sup>(٣)</sup>

فالله - عز وجل - أشد فرحاً بتوبة العبد من هذا براحته، فأقول: هذا الحديث أيضاً الذي ذكره الإمام النووي - رحمة الله - يدل على شيء من هذه المعاني، وهو أن العبد إن تقرب إلى ربه تقرباً قليلاً تقرب الله - عز وجل - منه كثيراً، وإذا تقرب منه كثيراً تقرب الرب منه أكثر، وإذا جاءه يمشي أتاها - تبارك وتعالى - هرولة. الشبر والذراع معروfan، والهرولة هي مشية دون الجري وفوق المشي، فهي إسراع في المشي، وفي بعض الروايات: ((وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم)).<sup>(٤)</sup>

والملأ هم الجماعة من الناس، لربما قيل لهم ذلك، لأنهم يملئون صدور المجالس، أو الذين يكون لهم شأن يتمالئون على الأمر، يعني: هم الذين يرجع إليهم الناس في الحل والعقد، وما أشبه هذا.

١ - أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - وروايته عن ربه (١٥٧/٩)، رقم: (٧٥٣٦).

٢ - أخرجه البخاري، كتاب الرفق، باب التواضع (١٠٥/٨)، رقم: (٦٥٠٢).

٣ - أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها (٢١٠٤/٤)، رقم: (٢٧٤٧).

٤ - أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {ويحذركم الله نفسه} [آل عمران: ٢٨] [١٢١/٩]، رقم: (٧٤٠٥)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى (٢٠٦١/٤)، رقم: (٢٦٧٥).

فإذا ذكر ربه في ملأ: أي ذكره ذكرًا مجردةً، لأن يقول: لا إله إلا الله، أو ذكره متنياً عليه، مبيناً لمجده، أو نحو ذلك فإن الله -عز وجل- يذكر هذا العبد في ملأ خير من ملئه، فيذكره بين ملائكته، يذكره في الملأ الأعلى، مع أن الله -عز وجل- غني عنا وعن أعمالنا، فنستشعر هذه المعانى، وهي أننا كلما تقربنا إلى الله -عز وجل- فإن الله أكرم وأرحم وأجل، والله تبارك وتعالى -كما ذكرنا من قبل أرحم بعده من أن يُضل عمله، وأن يضيعه كما قال الله تبارك وتعالى-: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضْلِلَ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ}** [التوبه: ١١٥].

فهذه الأحاديث تدل على سعة رحمته، وقبوله لأعمال عباده، فينبعي للإنسان أن يحسن الظن بالله -جل جلاله-، وأن يكثر من الأعمال الصالحة، وأن يكثر من ذكر الله -عز وجل- بالذكر الذي يكون لوناً من التعبد باللسان كسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وما أشبه هذا، وكذلك أيضاً بالثناء على الله وتمجيده، وما أشبه ذلك مما يفعله الإنسان.